يكاد يبتغيه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وملت في
نفسي انا في واد وانت في اخر وقال السري ان نفسي تطالبني منذ ثلثين سنه ان اغمس جوزة في دبس
فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد
ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة وروي ان
عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال
له العابد اي شي تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا
صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبنو ادم
حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى
يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب
والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهوا ودواب الارض واخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال بعضهم اتيت الجوعي فسألته عن الزهد اي شي هو فقال اي شي سمعت فيه فعددت
اقوالا فسكت فقلت وانت اي شي تقول فقال اعلم ان البطن دنيا فمقدار ما يملك من بطنه يملك من
الزهد وبمقدار ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل فسال عبد الرحمن المتطبب عن شي
يوافقه من الماكول فقال تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال بشر صف لي حتى اسمع فقال تشرب
سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال له بشر تعلم شيئا اقل
من السكنجبين ثمنا يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال الهندبا بالخل قال ثم تعرف شيئا اقل من السفرجل
قال لا قال انا اعرف وهو الخرنوب الشامي قال فتعرف اقل ثمنا من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال
انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن انت اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت
ان هولاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها
وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفوا لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات من
الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية
فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل
كلما يشتهيه ويفعل كلما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين
يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسى قلبه وقيل ان للمداومة على اكل اللحم ضراوة كضراوة الخمر
ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه
وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد
الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث

اذيبوا طعامكم

اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم واقل ذلك اربع ركعات او تسبيح مائة
تسبيحة او يقرأ جزءا من القران عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم
واصله بالصلوة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده
ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكله بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها
لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا بالتمر فان كانت
كفايتك والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا
يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول
لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع
الخبز شهوة قال ابن عمر رضي الله عنهما ما يأتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة
وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من
شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع
في الاخرة بشهواته وقال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت
مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنه فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ما فعل
الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي جل وعز من النعم والكرامة وكان اول شي استقبلني به
خبز ارز وسمك فقال تعالى كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس
انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي
قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من
اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة
في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية
الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاوما ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع
الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع
ايضا ما يدل على اسائته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله
عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان
الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى

Copyright © King Saud University